

المقاربة الموضوعاتية وحوار المناهج النقدية

Thematic approach and critical curriculum dialogue

* ليلي تحري

جامعة الشاذلي بن جديد الجزائر

Tahrileila82@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05./20 تاريخ القبول: 2021./10./02

ملخص:

شكل القرن العشرون ثورة فكرية أعيد من خلالها النظر في الكثير من المسلمات و النظريات سيما النقدية منها ، فكان انبثاق المناهج النقدية الحديثة في أوروبا و الذي يرجع إلى مجموعة من التراكمات الثقافية و التيارات المختلفة التي كان سببها تقاطع العديد من المعارف و الآداب العالمية للشعوب ، و في ظل هذا التحول الفكري الذي عرفه الغرب كان انتقال النقد الغربي من المناهج السياقية التي تهتم بالسياقات الخارجية التي أنتجت الظواهر الأدبية ، إلى المناهج النسقية التي تركز على النصوص الأدبية في حد ذاتها ، و التي انتشرت عدوها إلى مختلف دول العالم بما فيها الوطن العربي فكانت الموضوعاتية منهجا من تلك المناهج النسقية التي تفاعلت كغيرها مع مختلف الانجازات المعرفية

كلمات مفتاحية: الموضوع، الموضوعاتية، الظاهراتية، الوجودية، التحليل النفسي، التلقي العربي

Abstract:

The twentieth century constituted an intellectual revolution through which many postulates and theories were reconsidered, especially critical ones, and so was the emergence of modern critical curricula in Europe, which was due to a group of cultural accumulations and different currents that were caused by the intersection of many knowledge and global literatures of peoples, and In light of this intellectual shift that the West has known, the Western criticism has shifted from contextual approaches that are concerned with external contexts that have produced literary phenomena, to systematic approaches that focus on literary texts in themselves, and whose enemy has spread to various countries of the world, including the Arab world, so it was objective. One of those systemic approaches, which interacted, like others, with various cognitive achievements

Keywords:

Topic, thematicism, phenomenology, existentialism, psychoanalysis, Arab reception

تعد المقاربة الموضوعاتية من أهم المقاربات النقدية في التعامل مع النص الأدبي شعرا و نثرا ظهرت في أوروبا إبان الستينيات من القرن العشرين مع موجة النقد الجديد كما ظهرت في العالم العربي متأخرة عن نظيرتها الأوروبية. وقد تفاعلت الموضوعاتية منذ ظهورها مع مختلف الانجازات المعرفية كما عبرت الأبحاث عن حركية المنهج و احتكاكه ببقية المناهج التي عرفت أوروبا سواء هيمنة الرؤى الخارجية التي تربط النص بالمجتمع و التاريخ و الفلسفة أو الرؤى و المناهج الداخلية التي ظهرت كرد فعل على المناهج التي اكتفت بالنظر إلى الظاهرة الأدبية خارجيا دون التركيز على بنية النص الداخلية .

وقبل أن نخوض في قضية انفتاح المنهج على بقية المناهج النقدية ،ارتأينا أن نطرح التساؤلات الآتية :

_ ما المقصود بالنقد الموضوعاتي؟

وماهي الخلفيات الفلسفية المؤسسة لذلك النقد ؟ و ما علاقته بالمناهج النقدية الأخرى؟

و من هم أعلامه في الغرب؟ وما هي أهم المقاربات النقدية الموضوعاتية عند العرب ؟

2. حدود المصطلح و خلفيات التشكل:

لقد أفرزت التوجهات الفلسفية في حقل الموضوعاتية تباينا كبيرا في أوساط النقاد حول تحديد مفهوم المصطلح فمنهم من يسميه الموضوع ، الحافز ، الصورة .

يذهب ريمون تروسون في كتابه *thèmes et mythes* إلى اعتبار الموتيف عبارة عن نسيج قاعدي ومفهوم موسع يعبر عن موقف ما ،إما عن الثورة ،وإما عن وضع أساسي غير شخصي ،لم يحدده ممثلوه ،كوضعيات رجل بين امرأتين ،وإما نزاع بين أخوين ،أو ما بين أب وابنه ،أ المرأة المهجورة¹

وانطلاقا من التعريف المقدم من طرف تروسون يتحدد الموتيف ككلية عامة والموضوع جزء منه ،في حين ينحو بيير برونال *pièrrebrunel* منحى " مخالفا لسابقه ،إذ يعد الموضوع كلية عامة ،والموتيف جزء منه ،" فالموتيف يتموضع خلف الموضوع².

وقد اهتم ريشار بمفهوم الصورة والموضوع ،بمعنى تلك الصورة الخاصة بكل مبدع والتي تظهر على شكل موضوعات وهواجس ،"فالموضوع عنده يترادف مع الهاجس"³ ،وفي السياق نفسه ،نجد باشلاريركز على الصورة المركزية التي تمثل العالم المتخيل الذي يتمظهر في صورة جزئية وبذلك يكون الهدف عند باشلار هو "كشف تمظهر الصور في لاوعي المبدع"⁴ و يتم ذلك التمظهر للصور عبر الخيال باعتباره فعالية منظمة تنظم العالم الخاص للمبدع.

ومنه نخلص إلى أن التداخلات المفاهيمية راجعة إلى اختلاف المناابت الفلسفية:

✓ الموتيف _ السياق السردي

✓ الهاجس _ التحليل النفسي

✓ الصورة _ الظاهرية

3. المناابت الفلسفية للمنهج الموضوعاتي :

ينحدر المنهج الموضوعاتي من أصول فلسفية مختلفة ،ولعل تلك الأصول هي التي أفرزت تباينا في مصطلحاته ومفاهيمه وقد حصر الدارسون هذه المناابت في ثلاثة أصول :

✓ الفلسفة الظاهرية

✓ الفلسفة الوجودية

✓ التحليل النفسي

لقد شكلت هذه الاتجاهات الثلاث المنطلق الأساس للمنهج واللبنة التي ارتكز عليها ،حيث كتب روبرت ماجليولا مقالا شديد الأهمية تحدث فيه عن هذا النقد عنوانه "باسم التناول الظاهري للأدب" حاول من خلاله ابراز الأصول الفلسفية التي اعتمد عليها أصحاب الاتجاه النقدي وهم :بيير ريشار ،جان روسيه ،ستاروبنسكي ،وجورج بوليه .

ويعتبر ماجليولا فلسفة هوسرل خلفية فلسفية تسند أغلب المحاولات النقدية في ما أسماه التناول الظاهري للأدب ،يضاف إليها مجهود الفلاسفة الظاهريين الوجوديين أمثال:هيدجر ،وسارتر .

لقد قامت ظاهراتية هوسرل على "فكرة القصدية التي ترتبط بفكرة التعالق بين فعل الوعي و موضوعه فالأفعال لا شيء دون الموضوعات فالوعي والعالم الخارجي يمثل حقيقة ماثلة ،والوعي عندما يفكر في العالم يتجه إليه بصورة قصدية تكون فيها الذات والشيء الخارجي مقصود"⁵

إن الفعل القصدى سواء أكان ادراكا أو تذكرًا أو تخيلا ،حبا أو كرها ،رغبة أو نزوعا يتحدد كمعيش يرتبط انطلاقا من ذاته بموضوع "⁶.ومنه فالموضوع الخاص بالبحث الفلسفي هو محتويات الشعور وليس موضوعات العالم الخارجي وبناء على الرؤية القصدية و بموجب فعل و علاقة الوعي أو الأنا بالموضوع تكون القصدية هي احد النقاط المفصلية في الفلسفة الفينومينولوجية عند هسرل .

إن ما يمكن أن نستخلصه من البعد الفلسفي الذي قامت عليه الظاهراتية هو اعتبار الابداع عملا يمثل وعي المبدع .

وإضافة إلى نظرة هوسرل الموضوعية قام كل من مارتن هيدغر ، وجان بول سارتر بتطوير هذه النظرية ،وذلك بإضافة البعد الوجودي الميتافيزيقي ،أي البعد الخارجي للوعي ، فقد انطلق السؤال الفلسفي عند هيدغر من البحث في ماهية الوجود ، فالإنسان موجود في العالم مثلما تتوجد باقي الكائنات الأخرى ، لكن جوهر البحث ليس في الوجود الطبيعي للإنسان بقدر ما هو البحث في معنى الوجود، و الوجود الذي يقصده هيدغر هو الوجود الذي يغلفه طابع القلق و التساؤل " فالموجود موجود لكن حقيقته تكمن في الوجود الأصيل المرتبط بالحرية لكي يتحقق الوجود ليغدو الوجود مرادفا للحضور"⁷ فإذا كانت طبيعة الوجود هي العدم فان ذلك الوجود يسعى للخروج من ذلك العدم و يسعى للبحث عن الكينونة [من الوجود المعدم الى الوجود الواعي / لحظة تشكل الدازاين هي اللحظة التي ترتبط بالحرية]

ومن هنا يطرح التساؤل الآتي :

ما هو الخيط الذي يجمع الظاهراتية بالوجودية ؟

إن جماع فلسفة سارتر الوجودية يتجه إلى أن الإنسان ينبغي أن يكتسب جوهره بالحياة والعمل فهو ليس شيئا آخر غير ما يكونه بنفسه ،وله مطلق الحرية بأن يصنع بنفسه ما يريد ، فقد قسم الوجود إلى ثلاثة أقسام :

الوجود في الذات : الوجود المعدم و المصمت الذي يشمل كينونة الظواهر و الأشياء ، و التركيز على ظاهر الانسان لا يكشف عن الوجود الحقيقي لأنه عدم .

الوجود للذات : يتجلى في الشعور أو الوعي ، هو ذلك الكائن الذي يختار وجوده و هي الذات الحاضرة التي تختار أن تخرج من عدم و تسعى لقلب الذات المصمتة و المعدمة لتصبح قائمة على الحرية و الاختيار "فما هو لذاته كان ما كان عليه الكائن الوجود في الذات و منه كان يتضمن كينونة الاخر في كينونته ..انه ضمن وحدة قلبية مع ما هو في ذاته"⁸

وهكذا تكون غاية الفلسفة الوجودية هي خلق الإنسان خلقا جديدا يقوم على الحرية والمسؤولية ، وهاتان الفكرتان هما قطبا الفلسفة السارترية .

ويمكن أن نلخص فلسفة سارتر الوجودية وعلاقتها بالظاهراتية على النحو الآتي :

الكينونة : الإنسان يصنع نفسه بنفسه ، وهذه الكينونة من صنع الغيب ، ومادام الكائن يصنع نفسه حر ، والحرية تجعله يتخذ موقفا من الوجود ، فهو مسؤول .

الوجودية

الوجود : يتم فيه الانتقال من الكينونة إلى الوجود ، ومادام الكائن انتقل من حالة كينونة إلى حالة الوجود فهو واعي وبذلك يتقاطع هذا الاتجاه الوجودي مع المنحى الظاهراتي .

ويذهب **جان بول سارتر** في كتابه "ما الأدب" ⁹ إلى القول بأن كل إدراك من إدراكاتنا مصحوب بالشعور بأن الحقيقة الإنسانية ذات طبيعة كاشفة ، فيها وحدها يتحقق الوجود فالإنسان هو الوسيلة التي بها تتبدل الأشياء والعلاقات بين أجزاء العالم تتكاثر بمثلونا فيه ، فنحن الذين نعقد الصلة بين هذه الشجرة وذاك الجانب من السماء .

هناك فرق عند الوجوديين بين كينونة الأشياء ووجود الإنسان ، فالأشياء المنفصلة عن الإنسان لا وجود لها إلا بعملية الإدراك (بالعملية العقلية التي يربط المرء فيها بين معرفته وظاهرات الأشياء ، "والوجود الحق خاص بالإنسان أما الأشياء فوجودها متوقف على وعي الإنسان لعلاقاته المتعددة بها"¹⁰ .

وإضافة إلى استقادة النقد الموضوعاتي من ينابيع الفلسفة الظاهراتية والوجودية ، فقد أفاد كذلك من معطيات التحليل النفسي التي تفسر كيف أن النقاد الظاهراتيين الموضوعاتيين لجؤوا إليه وإلى أحلام اليقظة المترسبة في الذات مثلما فعل **باشلار** الذي يرى أن "الموضوع يتحدد من خلال غيابه ومعايشتنا له إذن هناك ثلاثة تقاطعات ، الموضوع ، الذات الواعية والحلم اللذان ينشأن بتأثير إلقاء الذات بالموضوع .. فالنقد الباشلاري يعيد تشكيل اكتشاف العالم الذي تريد روح الفنان أن تعيش فيه انطلاقا من الصورة"¹¹ .

فالإبداع عمل يمثل وعي المبدع ، والمبدع إنما يكتب بهدف معين يكتب وفي ذهنه المتلقي (القصدية) ، وذلك لا يعني نفي الظاهراتية للعمليات اللاواعية وهذه مفارقة تستدعي طرح التساؤل الآتي :

إذا كان النقد الموضوعاتي استمد جذوره ومنطقاته من أسس الفلسفة الظاهراتية القائمة على الوعي فكيف يلجأ في الوقت نفسه في التحليل النفسي ؟

ومن خلال العرض الموجز للخلفية التي استند عليها المنهج يمكننا أن نخلص إلى أن ذلك التوجه الموضوعي للأدب أفاد من الظاهرية بطرحه للوعي _ القصديّة ، كما أفاد من الوجودية ،ومن التحليل النفسي الفرويدي وبذلك يكون من المناهج المنفتحة التي فتحت آفاقا رحبة للدراسات الحديثة .

4. التوجهات النقدية الموضوعاتية :

من الرواد الموضوعاتيين الذين أعطوا اهتماما للشكل جان روسيه الذي يذهب للقول بأن "الموضوع يمر من المستوى الدلالي إلى المستوى الشكلي ذلك أن الطريقة التي تبنى عليها الموضوعات هي التي تحمل خصوصية المبدع"¹². فقد تتقاطع الموضوعات بين الكتاب غير أن ما يجعلها تختلف هو طريقة التشكل وعندما يتناول ستاروبنسكي الممارسة النقدية من منظور خاص به يذهب للقول "بأنه إذا ما أراد النقاد تتبع انتشار موضوع ما ، فإنه لا يخضع عمله إلا للموضوع"¹³ فمنه ينطلق ويلحقه في الكتابات المختلفة ،وبذلك تنص مقاربته على استبعاد المؤلف ،ومنح السلطة المطلقة للنص .

بينما يتجلى النقد الموضوعاتي عند جورج بولي على " أنه قبض واع أو فهم لوعي الآخرين ..و الموضوع / الوعي يتابع بما هو يكونه و يتجلى في داخل العمل و يتشكل بوصفه ذاتا لمواده "¹⁴، فتتبع موضوع ما في عمل أدبي هو تتبع لا شعور شخصية المبدع ، وإجلاء الموضوع هو إجلاء لشخصيته ،وبذلك يكون النقد الموضوعاتي عنده محاولة للكشف عن المصادر التي تنبعث منها الأفكار والصور ، وإعادة صياغة العمل بناء على وجود لوعي داخلي .

أما جان بيار ريشار فقد أفاد من المعرفة الموضوعاتية الباشلارية في دراسته للأعمال الأدبية ، " فالقراءة الموضوعاتية عنده هي إثارة للتعارضات وجمع لما تفرزه من علاقات جديدة ، وربط التعارضات وإعادة تركيبها في بناء جديد ، على اعتبار الموضوع يتناسق مع موضوعات أخرى في مجموعات يشكل تعادلا و أنساقا متعددة و ذلك بواسطة ثنائيات متضادة :المغلق و المفتوح، الواضح و الهارب"¹⁵ فهو يعمل على تحويل الأفكار من الوجود المجرد إلى الوجود الملموس ،ثم يربط هذه الموضوعات بعد أن يحللها بالأبعاد الوجودية للكاتب ،من أجل فهم العمل الأدبي والوصول إلى فهم المبدع .

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نحصر التوجهات الموضوعاتية الكبرى في :

- ✓ التوجه النفسي عند بولي
- ✓ التوجه الشكلي عند روسيه
- ✓ التوجه المعرفي عند ريشار

5.المقاربات النقدية الموضوعاتية العربية : لم يحفل النقد العربي الموضوعاتي بأسماء لامعة كتلك التي أضاءت سماء النقد الغربي ،وإنما اكتفى بالاستفادة من المقاربات الغربية في اطار البحث الأكاديمي من خلال رسائل جامعية ،سنكتفي بذكر أهمها :

- ✓ رسالة دكتوراه :لكيتي سالم بإشراف ريشار بعنوان "القلق عند جي دي موباسان "
- ✓ رسالة دكتوراه :لعبد الكريم حسن بإشراف أندري ميكايل بعنوان "الموضوعية البنيوية في شعر السياب "

✓ رسالة ماجستير: لعبد الفتاح كليطو بعنوان: موضوعة القدر في روايات فرانسوا مورياك

وتبقى هذه الأطروحات مجرد محاولة من النقاد العرب لا ترقى إلى مصاف المحاولات النقدية الغربية الجادة، وذلك لإغفال أصول المنهج وتطبيقاته .

و الى جانب تلك الاعمال الاكاديمية فاننا نقف عند مؤلفات نقديه عربية من بينها:

سعيد علوش في مؤلفه " النقد الموضوعاتي "

حميد لحميداني في كتابه "سحر الموضوع و الذي اوضح فيه ان النقد الموضوعاتي له اسس تمارس على النص فقط و لا تقم عالم التأويل.

محمد عزام: بمؤلفه "المنهج الموضوعي"

محمد مرتاض "الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري"

كانت هذه أهم المقاربات النقدية في النقد العربي الذي عرف تذبذباً في تلقيه للموضوعاتية كمنهج و كاصطلاح نقدي وذلك يرجع إلى اضطراب الترجمات التي تعاملت مع مصطلح الموضوع و الموضوعاتية.

6. خاتمة:

ومن هذا المنطلق نخلص إلى مشروعية المنهج الموضوعاتي في استطاعته من خلال ما قدمه من اسس ومفاهيم، ان يؤسس لمنهج نقدي يسائل بنى النصوص الأدبية باعتباره محاولة لمحاصرة النصوص المنفلت عنانها من النقد، من خلال انفتاحه على مختلف المناهج، مستعينا بجملة من الأدوات الاجرائية و المقولات الغربية الكبرى التي اثبتت نفسها في الحقل النقدي العالمي.

7. الإحالات و الهوامش:

- بيير برونال، أ م روسو، كلود بيشوا، ترجمة: عبدالمجيد حنون، نسيم عيلان، عمار رجال، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار ، عناية، 2005، ص217.
- المرجع نفسه: ص217
- جان ايف تادييه: النقد الادبي في القرن العشرين، مركز النماء الحضاري، ط1، 1994، ص64.
- مجموعة من الكتاب: مدخل الى مناهج النقد الادبي، ترجمة رضوان ظاظا، عالم المعرفة، ط1، 1997 ، ص

E.HUSSERLE Logique Formelle et logique transcendante, PUF, Paris, 73.

- ادموند هوسرل: أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجيا الترنسندنتالية، ترجمة: إسماعيل المصدق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص، 1615
- مارتن هيدغر: التقنية، الحقيقة، الوجود، ترجمة: محمد سبيلا، عبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص 87.
- جان بول سارتر: الكينونة و العدم، بحث في الانطولوجيا الفينومينولوجية، ترجمة: نقولا متيني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009، ص52
- جان بول سارتر: ما الادب؟ ترجمة: غنيمي هلال، دار النهضة، مصر، ص43.
- المرجع نفسه: ص45.
- جان ايف تاديه: النقد الأدبي في القرن العشرين، ص56 .
- المرجع نفسه ، ص 36 .
- بيير برونال: ما الادب المقارن؟ ترجمة: عبد المجيد حنون، ص198
- جان ايف تاديه: النقد الادبي في القرن العشرين، ص26
- المرجع نفسه: ص61

8. قائمة المراجع:

- برونال بيير، روسو أ م، بيشوا كلود، ترجمة: حنون عبد المجيد، عيلان نسيم، رجال عمار، 2005، ما الأدب المقارن؟ عناية، منشورات مخبر الأدب العام و المقارن.
- تاديه جان ايف : 1994، النقد الأدبي في القرن العشرين، مركز النماء الحضاري .
- مجموعة من الكتاب: 1997، ترجمة: ظاظا رضوان ، مدخل إلى مناهج النقد الادبي ،عالم المعرفة.
- هوسرل ادموند : ترجمة : المصدق إسماعيل، أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجيا الترنسندنتالية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية .
- هيدغر مارتن: ترجمة: سبيلا محمد ، مفتاح عبد الهادي ، التقنية، الحقيقة، الوجود، المغرب ،المركز الثقافي العربي.

- سارتر جان بول: 2009، ترجمة: متيني نقولا، الكينونة و العدم، بحث في الانطولوجيا الفينومينولوجية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- سارتر جان بول: ترجمة هلال غنيمي، ما الأدب ؟ مصر، دار النهضة.
- HUSSERLE.E : logique formelle et logique transcendante, paris , puf.